أُذِنت

من
حطام
منزلي

قصة
واقعية

أُنقذت من حطام منزلي

مدان سميرة آية

نور للنشر والتوزيع والترجمة

حقوق النسخ والتأليف© 2022 منشورات لوزات – الجزائر.
جميع الحقوق محفوظة©. لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائل أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.
Copyright © 2022 by Louzat Publishing.

المؤلف: مدان سميرة مدان.
عنوان الكتاب: أينعت من حطام منزلي.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: مداني رمضاني.
الطبعة الأولى: 2022.
ISBN:
الإيداع القانوني: جوان 2022.
عزابة – سكيكدة.
Tel: 0658681986/ E-mail:
edutionlouzat@gmail.com
لوزات للنشر والتوزيع :Facebook

إهداء

لكل من يتعقبني خلسة أملا أن أفشل، ينتظر بفارغ الصبر تعثري وسقوطي، هذا نجاح مني لك يطفئ أملك مرة أخرى.

لك أنت ..عند تقليدك لي في كل مرة لا تنسي أن تكوني نفسك ولو لمرة واحدة تثبت أنك حقيقية.

لكل من خذلني، لكل من طعنني وظن أن طعناته كافية لتطرحني أرضا كافية لقتلي، أينعت بعد كل تلك الطعنات.

لكل من يظن نفسه يقف وسط طريق نجاحي ليعرقلني، يزرع فيا سم كلماته ليظن انه سيشرف على فشلي، لن أكون عند حسن ظنك ستخيب الظنون لديك وأنت أصغر من أن تتمنى حلما صعب المنال فلا تطلب المستحيل لحياة غيرك.

لكل من ساندني وأرشدني بداية من أمي وأبي وصديقاتي، لا المزيفات منهن، دمتم لي سندا لا يميل مصدرا ايجابيا ودمت لكم مصدرا للفخر في كل مجلس يتم ذكر اسمي فيه.

لكل من سيقرأ أسطري، ستجد نفسك في سطر من السطور أسيرا لكلمة من الكلمات وكأني أعانق قلبك من بعيد تقتلك كلمة كتبتها وتحييك أخرى، أتمنى أن تدرك شيئا واحدا، هاته الكلمات كتبتها بكل حب بكل شغف أتمنى أن تصل الرسالة منها لكل قارئ كما أتمنى أن تكون مصدر إلهام لكم..

تمهيد

رحلتي..

ليست بغريبة عنكم لكن ها أنا أعيد سرد نفس الحكاية .. حكاية رحلتي، حكاية تغيرت فيها نفسي، حكاية أصبحت فيها ذاتا جديدة بفكر جديد، رحلتي من وإلى، من تلك المراهقة الضعيفة الصغيرة المكسورة، من تلك الحمقاء التي تصدق الجميع، من تلك التي صدقت غيرها بمجرد حلف أنهم ليسوا كغيرهم فكانوا الأسوء، أنا تلك التائهة وسط الحياة وسط بناياا صنعتها من كذب ووسط تخيلات حمقاء كنت أضعها لنفسي، أجل من تلك الغير متزنة من تلك التي رمت بها كل ريح في كل اتجاه دون أن تقاوم حتى من تلك الجبانة من كل شيء في كل موضوع، من تلك التي غادرت ساحة المعركة كجيش مهزوم لم يعد لديه ما يحارب من أجله، رحلتي من المهزومة لتحويل كل الهزائم لانتصارات

وتحويل الفرص لنجاحات، وها أنا ذا كأخرى تماما، لا أذكر من تلك في ماضي لكني أعرف شيئا واحدا وهو أني لم أعد تلك اطلاقا، لا مكان في حياتي لأشخاص جدد، لتكوين علاقات فاشلة تتناسى وتندثر، لا طاقة سلبية حولي لا دموع على خسارة لا عدم تجاوز للأحداث بعد الآن، حولت كل جذع مكسور بي لجذع يمكنه أن يزهر مع الزمن، لا وعود كاذبة ولا شخصية منافقة ولا أحلام عادية ولا حسرة وأحزان أبدية، أجل بيدي أنا حولت غلاف حياتي السوداء لغلاف حياة وردية تمنيت أن أكون..

تمنيت أن أكون مجرد إمرأة بسيطة، تمنيت لو كنت مجرد فتاة عادية أسيرة لعالم البساطة لا تتحدى الحياة ولا تجري مع مجرى زمنها، تمنيت لو أكون مجرد انسانة تحيا ببساطة ترضى بالقدر ولا تطمح لتغييره لكن أنا لست تلك، تمنيت لو كنت تلك الكسولة التي تشبع من النوم حتى يلكمها السرير لتنهض تمنيت لو أني تلك التي تقضي ساعات طويلة من الاستمتاع على النت، هذا فيديو وهذا فيلم، هذه قصة جديدة وهذه رسائل عميقة، أضيع وقتي

وأنا أرتمي لما بداخل الحاسوب والهاتف لكني لست تلك، تمنيت لو أني كنت أذهب للجامعة صباحا دون أي هدف للتعرف على أناس جدد وللتسلية وقضاء بعض الوقت بعيدا عن منزلي لكني وبكل بساطة أنا لست تلك، تمنيت لو كنت مجرد شيء عادي بتفكير عادي وطموح عادي لكني ولمرة أخرى أنا لست تلك ولما أود أن أكون كالميتة بينما بداخلي حياة؟ لست تلك من تنام بكثرة ساعات استيقاظي أكثر من ساعات نومي بكثير لا تعجبني نظرات البومة ولا تعجبني ظلمة الليل لأصحو فيها، بل أنا طائر صباح اشرق مع كل اشراقة شمس، لا اقضي الساعات والساعات وأنا على المواقع اتسلى " ارأيت الخبر الجديد؟ اتعلم ما جرى اليوم، ما بها تلك" الأخبار السخيفة لا تهمني أنا بتلك الجلسة أصنع نفسي وأطور ذاتي وأكتب مستقبلي أني أحول الجلسات الخاطئة العديمة النفع إلى جلسات كلها صواب، لا يمكنني النهوض باكرا دون تخطيط وتسطير لأهداف اليوم أنا لست حيوانا مطيعا، أنا طالبة جامعية كيف اترك منزلي صباحا وأدرس دون أن أعي ماذا سأكون

هذه حماقة! اني أعرف ما هو موقعي من هذه الحياة، أعرف ما هي مهنتي أعرف مبتغاي وأسعى وراء أحلامي، ستقولون ستصدمك الحياة، تعلمت تلقي الصدمات باكرا أنا الآن اعرف كيف اتخطى الصدمة وأحولها لفرصة جديدة تلك العثرات ما باتت تسقطنا اليوم.وأنت ماذا تنتظرين؟ استبقين تلك المسكينة عديمة النفع والفائدة متى ستكتبين اسمك صغيرتي؟ جميعنا ولدنا بأسماء لكن البعض منا قرر أن يكتشف العالم اسمه اما البعض خبأه كسر صغير بينه وبين من يعرفهم، بينما تقضون الوقت في تكوين الصداقات كونوا شخصيتكم وبينما أنتم تطورون حساباتكم الوهمية طوروا أنفسكم وبينما أنتم تحسنون من أجسادكم لتحضوا ببعض الإنتباه، طوروا عقولكم فالحمير رغم لحمها برأسها تبقى حميرا أليس كذلك؟ عزيزتي أنت فتاة حواء، فتاة حواء لا تنتظر صدقة القدر بل هي التي تتحكم بقدرها فتغيره لتغير مجرى حياتها.

تمنيت أن أكون بغاية البساطة، لكن البساطة لا تناسبني فلذا أنا لست كذلك.

مقدمة

نحن لا نموت بعد كل ثورة مع أنفسنا نحن نحيا بعد كل تلك الحرب لنهزم جيشا غير الجيش الذي ظن بأنه سيهزمنا فأسكتنا غروره ليظل عالقا بعلامات الإستفهام والحيرة، لم يقتلني الماضي لم أعد مرتبطة به لم تعد تطاردني نقاط الضعف تلك وأخيرا تحررت من ذلك القيد المؤلم وحلقت بنفسي بعيدا لم تقتلني الحياة تجاوزت العثرات كتجاوز جندي لجثث أصدقائه بعد معركة طاحنة، أدركت ومع الوقت أنها كانت مهمتي الخاصة ..مهمة إنقاض نفسي مني وبعد كل ما مررت به أينعت!

أينعت وسط حطام منزلي.

عادت زينب لمنزلها، للمنزل الذي خرجت منه قبل ثمانية عشر سنة متخال عنها من طرف أسرتها ألسرة أخرى، للمنزل المهترأ الذي زار أحلامها كل ليلة متذكرة ذكريات ربطتها دوما بماضيها، جعلتها تائهة بكل منزل أقامت فيه.

تسكن زينب رفقة أمها فاطمة خادمة المنازل الغنية، زوجة سكير الحي التتذكر وجه أختها التي هربت من المنزل وهي صغيرة، تقابل يومها جثة أخيها أمامها وقد مات من قلة العناية والإهتمام وهو مريض، لم تكن عائلة زينب قادرة على توفير لوازم وأساسيات العيش، كانت أمها تنظف البيوت من الصباح للمساء لينتهي ما تكتسبه في وجبة الغذاء والعشاء وفي شرائها صوفا لحياكة ملابس زينب، أما والد زينب فيسحب منه لقب الأبوة، كل ما فعله ضرب زوجته ليال ونهارا، وحرق كتب وأقلام زينب وحبسها داخل المنزل القذر لمنعها من الدراسة.

لم تطلق فاطمة زوجها ولم تفكر لوهلة في تطليقه، كانت تخاف من الوحدة آخذة مبدأ الحب.

الحب منعها من التخلي وفي رحلتها مع حبها تخلت عن نفسها، كانت فاطمة تأخذ زينب معها أثناء تنظيفها لقصور أحد الأغنياء، السيدة " نرمين "وزوجها لم يكن لهما أبناء، لم تكن نرمين تستطيع إنجاب الأولاد إلا انها كانت راضية بنصيبها وكان زوجها يحبها كثيرا أو ربما لم يحب سوى ثروتها وإنطفأت شمعة الحب بينهما مع مر السنين.

أحبت نرمين زينب كثيرا إعتبرتها كإبنة لها، اقترحت على فاطمة في جلسة شاي وتبادل هموم أن تعطيها زينب تحتضنها في بيتها تدرسها وتكبر معها، رفضت فاطمة الفكرة في بادئ الأمر وانتهى الأمر بالقبول بعد أن فكرت في أن لا مستقبل لمالكها الصغير في ذلك المنزل وأما والدها بادر بالقبول على الفور وإشترط مبلغا من المال مقابل اعطاء طفلته..

أكانت زينب مجرد سلعة تنتظر البيع ليعطيها بهذه السهولة، ألم يكن لزينب أب يوما؟

عاشت زينب في القصر مع أمها نرمين وزوج أمها الذي لم يعتبرها إبنة المنزل يوما ،كانت زينب كالغريبة دوما كان بداخلها حطام بقي من منزلها لكنها وسط الحطام أينعت.

استيقظت زينب، اليوم عيد ميلادها الثالث والعشرين تحضر نرمين وصديقتها مفاجأة عيد ميلادها وهي لا تعلم بذلك خرجت زينب بعد تناول الفطور متجهة نحو جامعتها، زينب طالبة حقوق، وبعد انتهاء الدوام تلقت مكالمة أمها نرمين.

- زينب : صباح الخير أمي خرجت مبكرا كنت نائمة فلم أرغب بإيقاضك.

- نرمين : صباح الخير حبيبتي، انتظرك فى مكان ما.. سأرسل لك المكان برسالة، تعالي ..

ركبت زينب سيارتها واتجهت للعنوان.

مفاااااجأة!!!

- زينب : أوه أمي أنت رائعة حقا.

مكان بحديقة صغيرة يطل على المضيق زين بالبالونات ووضعت أجمل الستائر..قالب الحلوى، صورة زينب وهي صغيرة، كبرت زينب بسرعة لكن داخلها لم يكبر بعد.

- نرمين : تعالي ،انفخي على الشموع وتمني أمنية.

تمنت زينب أمنيتها التي كانت حلم أخيها دوما في أن تصير أخته زينب محامية، فجأة دخلت فاطمة، كانت مرتدية زيها البسيط شعرها مخفي تحمل كيسا، تقدمت زينب نحوها مسرعة عانقتها بشدة تعبر عن الإشتياق وشكرتها لقدومها حينها جاء صديق زينب.

- زينب ألن تعرفينا من هي السيدة؟ أهي مربيتك؟

لم يكن يعرف أحدا من هي زينب الحقيقية فعال كل شيء كان سرا بين زينب ونفسها.

صمتت زينب لمهلة فأجابت أمها فاطمة: أجل مربيتها ..أعطتها الكيس وتمنت لها عيدا سعيدا، وخرجت من المكان

– نادتها زينب: أمي، أمي لكنها لم تلتفت إستأذنت من أمها نرمين وغادرت حفل عيد ميلادها، غادرت لتجد نفسها شامخة أمام منزلها القديم، أمام حقيقتها وبدايتها، أمام واقعها المر بعيدا عن كونها أميرة القصر، وجدت نفسها مقابل المنزل الذي زار أحلامها كل ليلة متذكرة كل ذكرياتها التي لم تنساها يوما..

دخلت زينب المنزل لم يتغير شيء كل شيء على حاله في مكانه كما كان دوما، إعتذرت زينب من أمها فردت فاطمة" لقد تغيرت يا زينب لقد نسيت من تكونين، لقد نسيتنا وهجرتنا تماما، انا لم أعطك كهدية للغرباء أرسلتك لتصنعي مستقبلك لتدرسي لتكوني سعيدة، وبينما كنت أعيش التعاسة طوال السنوات نسيتني.

– زينب باكية: لم أكن سعيدة أنا أيضا عشت تعاسة لا يراها الناس من زجاج القصر، أنا لم أنساك لا أنت ولا هذا المنزل، لم أنس أخي أيضا لم تغيبوا عن مخيلتي أبدا.

– فاطمة : زينب سأطلب منك شيئا وحيدا.

– زينب : نعم أمي.

– فاطمة : أريد أن أراك عروسا أريدك أن تتزوجي بمهدي هو من سيعتني بنا وبك.

– زينب : كلا كلا أبدا أنا لا أنوي الزواج الآن ما الذي تقولينه.

– فاطمة : حسنا زينب، اذهبي من هنا ولا تعودي مجددا.

خرجت زينب تسير في الحي تفكر في ما قالته أمها فاطمة وتفكر بجهد أمها نرمين وجدت نفسها وسط دوامة كبيرة وسط حفرة من الأفكار لا تستطيع الخروج منها، لم تكن لها القدرة على التركيز وتذكرت اسم الشخص ذاك.. ماذا كان؟ اا مهدي، فجأة اصطدمت بشاب طويل القامة أسود الشعر والعينان حسن الهيئة واثق من نفسه، إنه مهدي لكنها لا تعرفه يملك مهدي ورشة تصليح في الحي يعتني بعائلته بمفرده، توفي والده وهو صغير أما زينب فجمالها ساحر، احمرت وجنتاها خجلا، لمعت عيناها العسليتين وهي تنظر لمهدي بينما ينسدل شعرها، الحريري على كتفيها، اعتذر مهدي منها أحنت رأسها وغادرت... غادرت من كل مكان إلا من ذاكرة مهدي.

عادت زينب إلى القصر وهي تفكر بكلام والدتها، أكلت الأفكار دماغها حتى نامت وصباح اليوم التالي اتجهت لأمها فاطمة دخلت المنزل، وقالت له: "سأوافق بشرط، وهو أن أرى مهدي وألتقي به على انفراد أولا"، فرحت فاطمة، وقالت: حسنا حسنا سأنظم ذلك من جهة أخرى كانت نفيسة أم مهدي تحدثه عن زينب لم يوافق، وقال: أنه سيرى هذا الأمر بعد اللقاء بالفتاة....

في حديقة الشاي ينتظر مهدي قدوم زينب مع صديقتها من الحي.

أمينة هي من كانت ستعرفهما على بعضهما، دخلت زينب رفقة أمينة لمحته امينة فسارا باتجاهه استدار مهدي ليرى زينب ...ماذا؟ أنت؟

- زينب: أهذا أنت؟ عفوا، مرحبا أنا زينب.

- مهدي: وأنت مهدي تفضلي بالجلوس.

غادرت أمينة وتركت مهدي رفقة زينب شربا شايهما تحدثا عن الحي، عن أخيها فقد كان صديق مهدي، وثم عن موضوع الزواج، صارحت زينب مهدي أنها لن تحبه بسهوله وأجابها:

بأن الحب الحقيقي يكون بعد الزواج وأخبرته أنها ستدرس ثم تعمل، وقد وافق على ذلك أيضا، في نهاية مشوارها طلب مهدي من زينب أن تفتح يدها ثم اعطاها دالدل أخيها، شكرته زينب كثيرا على هديته، هي أكثر ما أسعد زينب ودعته وانصرفت.

أخبرت زينب أمها فاطمة أنها اتفقت مع مهدي، لكن لم تخبر نرمين، لم يكن لها علم بهذه الحادث ولو علمت لمنعت زينب، اكتفت زينب بأخذ بعض من أغراضها، وقالت: ألمها نرمين أنها ستكون مع أمها فاطمة قليلا وتعود، كانت كذبة عميقة جدا.

بدأت تحضيرات زفاف مهدي وزينب، لم تكن زينب تتخيل أنها ستلبس زي زفافها قبل لباس التخرج لإنقاص عذاب ضميرها ولإسعاد أمها، كما لم تدرك فاطمة أن هذا الخيار الذي بان لها صائبا سيتحول لخطأ كبير في حياة زينب، سمعت نرمين من

أمينة صديقة زينب المقربة عن موضوع الزفاف وأتت مسرعة لإنقاض أميرتها، ولكن محاولاتها بإقناعها في أن تعود معها بائت بالفشل لم ترض زينب بالعودة، اعتذرت من أمها نرمين كما جرت مناوشات وحوارات بين نرمين وفاطمة، نرمين امرأة ناجحة ولطالما تمنت أن تكون زينب مثلها وأكثر، لطالما ساعدتها ووقفت معها وساندتها في دراستها وحياتها... في لحظة الزفاف تلك شعرت نرمين وكأنها وحيدة تماما، شعرت بشيء من خيبة الأمل ، شعرت بحزن يتداخل بين أضلعها عانقت زينب وذهبت لكنها لم تترك زينب لوحدها ولو لمرة واحدة كان قلبها معها دوما ولم تتوقف العالقة بين نرمين وزينب بعد الزواج أيضا كانت تزور أمها.

لم تكن زينب تنام مع مهدي، كانت تنام على السرير أما مهدي فكان ينام على الأريكة المجاورة لم يرد إزعاج زينب ولم يرغب في أن يضغط عليها، كان مهدي متفهما جدا، كان يساعد زينب ويساندها اشترى لزينب مكتبا لتستطيع الدراسة، كان آخر

عام لزينب في الجامعة أي عام التخرج، كانت قريبة من حلمها قريبة من مهنتها "المحاماة"، كان مهدي شاهدا على مثابرتها ودراستها، داعما لها، اشترى لها جبة لتستعملها بعد مزاولتها العمل، بدأت شرارة الحب بين زينب ومهدي، أصبحت زينب تحب مهدي كثيرا تشعر معه بالأمان، تحس أنه الإختيار الصائب، عوض مهدي زينب حنان أبيها الذي حرمت منه لسنوات، أو حنان الأب الذي لم تذقه أصلا، رجولة مهدي، كبرياءه، تعامله، كلماته وكل شيء كان راسخا لدى زينب، استطاعت زينب أن تحب وأن تحب أيضا فقد كان مهدي يحبها كثيرا يدعمها في كل مجالات حياتها، أما فاطمة كانت تعيش معهم أيضا في نفس المنزل كانت ترى سعادة زينب.

نهضت نرمين صباحا لم يكن زوجها بالمنزل، فارتدت ملابسها وذهبت لتفاجأه في الشركة عندما دخلت غرفته خبأ هاتفه في الدرج.

– "صباح الخير حبيبتي، يا لها من مفاجأة جميلة لما أتعبت نفسك لو إتصلت بي ."

- نرمين : صباح الخير زوجي لا قررت أن آتي لرؤيتك وأرى أعمال الشركة أيضا قد أهملتها في الآونة الأخيرة، وكما تعلم زينب ليست موجودة لم أعتد على فراقها بعد.

– حسنا عزيزتي سيكون العمل مفيدا لك، إذا أنا أعتذر سأخرج الآن طرأ لي عمل ما سأحله وأرجع وبعد عودتي سنخرج لتناول الغذاء سويا، اتفقنا ؟

– نرمين : حسنا انتبه على نفسك.

بعد خروج زوجها فتحت الدرج كان قد نسي هاتفه هناك تصفحت الرسائل وجدت رقم السكرتيرة ريم فقط كما أنها صديقة العائلة لم يراودها شعور من الغرابة ولا شك، خرجت من مكتب زوجها وذهبت لمكتبها بعد الانتهاء من عملها غادرت الشركة لم تنتظر زوجها فهو لم يعد بعد كما أنه نسي هاتفه، ذهبت واستلقت في منزلها فتح الباب، ها جاءت زينب.

- زينب : مرحبا أمي أأنت بمفردك ؟

- نرمين : نعم عزيزتي ماذا حصل.

- زينب : أردت ان اذكرك أن حفل تخرجي سيكون نهاية الأسبوع.

- نرمين : آه منك عزيزتي، أيعقل أن أنسى هذا، حتما سأكون هناك، وهل أمورك مع مهدي تمام ؟ أنت بخير ؟

- زينب : نعم أمي، نحن بخير لا تخافي، أنا سعيدة مع مهدي.

- نرمين : حسنا عزيزتي.

لم تبق زينب عند أمها كثيرا غادرت لتذهب للغذاء مع مهدي.

- مهدي : زينب أنا أحبك كثيرا.

- زينب : وأنا أحبك يا مهدي.

- مهدي : سأبقى معك مهما حصل، لن أحزنك أبدا.

- زينب : أثق بذلك.

بعض الوعود لا نوفي بها والثقة مع المواقف تنكسر.

صباح اليوم التالي، صباح مميز من حياة زينب، صباح تعثرت من أجله في كل ليل وصباح، تركت من أجله أسرتها لتبني مستقبلها، ذلك الصباح الذي انتظرت كل من نرمين وفاطمة وزينب قدومه، صباح النجاح.

استيقظت زينب باكرا كلها حماس ارتدت لباس تخرجها وجهزت نفسها، جهز مهدي نفسه أيضا خرج قبلها اشترى لها باقة من الورود الجميلة، كان مهدي فخورا بزينب سعيدا بإنجازها لم تفارق الضحكة شفتيه سعد بنجاحها كما لو كان نجاحه أما زينب فلا يمكننا الشك لوهلة بفرحتها تلك كانت بادية عليها، وهم في الصالة ناد مدير الجامعة زينب لتلقي خطاب تخرجها، صعدت زينب نظرت حولها وكل عائلتها تساندها وتصفق لها.

مرحبا بالجميع، ما سأقوله ليس مخططا له هو ما ينبثق من قلبي وما أحس، هو خليط من مشاعر عشتها خلال حياتي لن أقدم شكرا عاديا لكل من أعرفهم كحفلات التخرج العادية بل سأحكي لكم قصتي، لا بدافع الشفقة ولا من أجل الافتخار بي بل

لتسمع كل صغيرة هنا هذه القصة لتدرك أنها أقوى مما هي عليه وستكون أقوى فتاة مستقبلا لكي لا تنكسر وتحقق أحلامها، قبل سنوات كان أبي يكسر أقلامي ويرمي بكتبي ويحرقها، كنت أدرس بالسر خلسة أثناء غيابه عن المنزل وبعد عودته أخبأ أقلامي، كانت أمي فاطمة تعيد شراء الكتب والأقلام من أجلي مما كانت تكسبه، كان أبى يضربها ويضربني كان يقول بأن مكاني هو بجانب زوجي ولا بنات تدرس هنا، كان يغرق الباب، كنت أصرخ:

"أبي اتركني أذهب"، لكنه لم يكن يسمعني كعادته ويتركني هناك، لم تكن أمي قادرة على فعل شيء لكنها ضحت بإعطاء ابنتها الوحيدة بعد وفاة ابنها وهرب ابنتها اعطائها لعائلة تعتني بها تلك العائلة كانت أمي نرمين، وبفضلها أنا اليوم هنا بفضل ما قدمته لي من حب أكثر من امكانيات من دعم معنوي أكثر من ماديات بفضل مساندتها لي وايمانها بنجاحي أنا اليوم هنا، هنا ومع زوجي مهدي، يقال: أن الحب يأتي بعد الزواج هذا صحيح، أحبك مهدي.. شكرا لجميع الليالي التي قضيتها بجانبي

تدعمني فيها وأنا أدرس، شكرا لهديتك التي تمثلت في جبة، آمنت بنفسي أكثر حينها، كنت أكبر شاهد لمعاناتي وأنت اليوم شاهد لنجاحي هذا، أما أخي حبيبي أنا آسفة لأني لم أعتني بك.

أنا آسفة لأني لم أدافع عنك، لن أنساك أبدا، أختك اليوم محامية مثل ما تمنيت أن أكون دوما.

صفق الجميع نهض مهدي من مكانه نحو زينب، قبلها من جبينها، وقال لها: افتخر بك، وقدم لها باقة الورد، كانت زينب جميلة جدا لدرجة أن يستحي الورد فيذبل أمام جمالها.

مساء ذلك اليوم وبعد عودة نرمين لمنزلها اكتشفت خيانة زوجها لها مع صديقة العائلة تفاجئت بذلك كثيرا..

امرأة تنسي الرجل بامرأة؟ أينتهي الحب دوما بهذه الطريقة، صدمت نرمين كثيرا لم تعرف ماذ تفعل ولم تفعل شيئا أيضا كما كان زوجها قد حول جميع ممتلكاتها له أثناء غيابها عن شركتها، تحطمت نرمين كليا، كانت تحس كما لو أنها داخل كابوس، اتصلت بزينب وروت لها ما جرى ثم أتى مهدي وأخذها إلى منزلهما لتبقى هناك

أثناء المدة التي ستحاول فيها استرجاع ممتلكاتها، كانت نرمين داخل صدمة، ولم تستطع تجاوز ذلك ببساطة.

ذهبت زينب لإجراء مقابلة العمل في إحدى الشركات الكبرى والمعروفة، كانت مقابلتها ناجحة، وقالو لها: أن تدخل في مرحلة تكوين، ومن ثم سيعيدون النظر في قرار قبولها العمل، ووافقت على ذلك، كانت تتأخر في العودة للمنزل، منحها المدير سيارة من سيارات الشركة، هي وباقي الموظفين، كان يوصلها أحيانا لمنزلها وهذا ما لم يعجب مهدي، تكررت المناقشات بين زينب ومهدي حول هذا الموضوع، لم يرغب مهدي في ترك زينب تعمل هناك، وقال لها: أن تنقطع عن العمل، ولكنها رفضت.

أنا لن أستطيع ترك عملي ومنصبي في تلك الشركة، وأغادر مهما كان يا مهدي وأنت تدرك، الصعوبات التي تخطيتها لأصل لما أنا فيه اليوم، لا تطلب مني أشياءًا كهذه مرة أخرى.

كان هذا رد زينب على جمل مهدي كل مرة وإحدى الليالي التي عادت فيها متأخرة للمنزل، قال لها: بأنه لا يوجد ذهاب

للعمل غدا، تعودت زينب علي حديث مهدي لدرجة أن لا ترد عليه هذه المرة، نامت وبعد استيقاضها صباحا وجدت الباب موصدة والمفاتيح لا أثر لها، بحثت داخل الغرفة وفي كل أرجاء البيت لكنها لم تجدها نظرت من خلال النافذة، فرأت مهدي صاحت:

– مهدي أنت هنا لم أجد المفاتيح افتح لي الباب سأتأخر عن العمل لم يجبها مهدي وادار ظهره فصارت تصيح وتبكي من وراء الباب قائلة :

– مهدي افتح الباب، مهدي اتركني أذهب للعمل أرجوك..

تكرر مشهد أبيها أمام عينيها، لم يكن يتركها تذهب لتدرس، والآن مهدي؟ أيعقل أن يكون مهدي كأبي؟ أهذا منزلي؟ !لا ينبغي أن أتحطم مرة أخرى هنا.

بحثت زينب في أدوات العمل من المخزن عن شيء تكسر به الباب حاولت وحاولت وكسرتها، لن توصد الأبواب التي أغلقت بوجهي مرة أخرى، حملت زينب حقيبتها وغادرت المنزل

متوجهة لورشة مهدي، دخلت أنا لست عبدة عندك ولست مثالا للمرأة الضعيفة، كسرت الباب وخرجت وها أنا هنا الآن أترى؟ أترى هل أنا هنا ولا قدرة لك لا أنت ولا غيرك على حبسي، والآن انتهى كل شيء يا مهدي سنتطلق.

رمت زينب بالخاتم أمام مهدي لم تتردد لدقيقة واحدة وخرجت من الورشة وذهبت للعمل، وطلبت من مديرها أن تخرج باكرا مساءا كما دبرت منزلا صغيرا لتبقى فيه مع أمها نرمين وأمها فاطمة سكنت زينب مع أمها نرمين وفاطمة في المنزل الذي اشترته بمالها الخاص، أحست أنها تنتمي لذلك المكان، المكان الذي عملت هي فقط من أجل التواجد فيه.

من جهة أخرى كان مهدي يسعى جاهدا للحصول على زينب مرة أخرى كما لو كانت كل ما فقد في الحياة، لكن الأخطاء التي ارتكبها مهدي لا تغفر، النساء تصفح وتغفر لحد معين، وقد تجاوز مهدي هذا الحد، تجاوزه حتى أذية أكثر من كان يخاف عليها من الأذى.

– أفلتتك.. آه يا مهدي، ولأول مرة تركتك تسقط من عيناي دون أن أرمش للحظة، سقطت مع آخر دمعة مني، لم أدعك تتشبث في رموشي لمنعك من السقوط ولمعانقتك مرة أخرى.

لأول مرة تركتك ترحل وكأن شيئا لم يكن، وكأننا لم نعش ما عشناه أبدا..

لأول مرة لم تكن لي القدرة على البكاء خلفك بكاء اليتيمة، وكأن العالم رحل عني لم أشعر بشعور الوحدة التي كنت أشعر بها، وكان العالم هجرني، بل أغلقت الباب وما ودعتك أصلا ولملمت نفسي وأتممت حياتي..

ولأول مرة تركت مكانك بي خاليا خاويا، ضبضبت المكان خلفك بقلبي وما عدت أفرش ثنايا قلبي لأحد.

لأول مرة لم أعد أحس بالفرق بين بك وبدونك ولم أدرك الفرق بين حالي معك ومن بعدك، وكأن شيئا لم يتغير اليوم لأني وبك بساطة إما اني أفلتتك أو أنت الذي أفلتني وسط زحمة الحياة التي تعاهدنا أن نسير وسطها معا.

لأول مرة لا أتذكرك قبل نومي فأعانق وسادتي وكأني أعانقك لأعانق حبا لم يكن فأنت اليوم وأمس لم تكن..

ولأول مرة ما عاد الحب حبا وما الحب من دونك وما انت دون الحب؟

لأول مرة لم أعد أحس بك ولو حتى كسراب بعدما كنت تسكن أعماقي وتعانق أضلعي وتسكن بين ثنايا قلبي، ولأول مرة أفلتتك وأفلتني وخلفت وعدك وجرحتني وآلمت نفسك وآلمتني وتركت حبنا وتركتني، فلا وداعا ودعتك ولا كلقاء تمنيتك ولا من خسارتي أنقذتك ولا بين ذراعاي حملتك ولم أرحب بك بل تركتك لأول مرة تسقط ولا قدرة لي على انقاذك مرة أخرى، كانت الأخيرة واختفت الألف واللام ونقطة الخاء وأنا أكتب الآن أحقا أفلتتك أم كما قلت هي مجرد حيرة.

واصلت زينب عملها وحياتها بشكل جميل وأما علاقتها مع مديرها، فتطورت يوما بعد يوم ليتشكل الحب بينهما يقال أن الطبيب للطبيبة والمحامي للمحامية، وكان هذا نصيب زينب

وقدرها في حياتها العاطفية، محاولات مهدي في استرجاع زينب بائت بالفشل كل مرة وسرعان ما دخل مهدي مشفى الأمراض العقلية، وذلك بعد محاولته أذية زينب لأكثر من مرة بعد العديد من الجلسات القانونية، أثبتت نرمين بأن زوجها خانها وسرق كل ما لديها، واستطاعت استرجاع ممتلكاتها كلها، وهذا بفضل مدير زينب، مع مرور الوقت تقربت زينب من مراد (مديرها) كثيرا ظنت زينب أنها وقعت في الحب مرة أخرى، لم يكن مجرد شك أو ظن من طرفها بل أصبحت على يقين بأنها واقعة في حب مراد، أنها أسيرة قلبه وأنه أسير قلبها، قد كان مراد يبادلها نفس الشعور، كما أنه قد عاش معها أيامها المرة والحلوة معا، ورأى تفاصيلها وتفاصيل حياتها، وكان معها عند كل مطبة وبعد كل عثرة.

من يحبك حقيقة سيكون معك مهما كانت الظروف، سيكون سندا لك يرفعك بعد سقوطك، يحميك من الجميع، يحميك أجل حتى لو كنت مسبب الضرر لنفسك..

مرت أيام على علاقة مراد وزينب كما كانت فاطمة ونرمين تعلمان بذلك، تقبلت فاطمة أخيرا أن تكون زينب سعيدة دون تدخل أحد في حياتها.

في ليلة من الليالي اتصل مراد بزينب وطلب منها القدوم إلى المكان الذي أرسله إليها برسالة وذهبت زينب لذاك المكان فورا.

دخلت زينب إلى تلك الحديقة كانت الأنوار مطفئة حينها ظهر مراد اشتعلت الأنوار ، بانت طاولة جميلة عليها ورد وشموع وأكل.

- مراد : زينب تفضلي بالجلوس.

(ضحكت زينب وجلست)

- مراد : أنت جميلة جدا، أتتنافسين مع القمر حول من الأكثر جمالا ومن الخاطف للأنظار؟

- زينب : يكفي أني خطفت قلب الرجل الذي أحب.

- مراد : زينب، أنا أحبك كثيرا.

- زينب : وأنا.

- مراد : زينب، أريد منك أن تكوني صديقة دربي، أن تكوني سندي وأكون سندك، أريد أن أحميك أن يكون لي حق حمايتك، أريد أن نعيش سويا، نكون سويا، زينب أريد منك أن تغمريني بحبك أن تكوني سيدة منزلي وصاحبته أو بالأحرى كوني سيدة قلبي ومالكته.

- زينب أتقبلين أن تكوني رفيقتي في السراء والضراء أتتزوجين بي.

تأثرت زينب وتفاجأت: أجل أقبل أن أكون زوجتك.

لا حب أجمل من حب بعد حلال، لا تتردد في المواقف الصحيحة.

بعد تلك الأمسية ذهبت زينب جد سعيدة لمنزلها حكت لأمها ما جرى وحكى مراد لأهله أيضا وذلك من أجل طلب زينب.

بعد أسبوع ذهب مراد لخطبة زينب ووافق الطرفان على ذلك، خرجت زينب مع مراد ليروا المنازل ويشتروا منزلهما

الخاص، اختارت زينب المنزل الذي تنتمي إليه، المنزل الذي ستنام فيه مطمئنة براحة بال، لا عنف ولا هم ولا مشكلة ولا ماضي، شخص واحد غيّر حياتها للأفضل ولكن قبل وجود ذلك الشخص، غيّرت زينب قدرها بنفسها كانت سند نفسها، ولم تدع شيئا يهزمها.

الحكمة

ستحلق بنفسك ذات يوم بعيدا عن كل شيء من وسط الحطام تماما، ستعيد لملمة نفسك..

ستداوي جروحك بمفردك، لا طبيب قادرا على معالجة ما بداخلنا، لا علاج كاف للروح، كالبدن، ستتعلم عدم الإستسلام، ستنهض مرة اخرى بعد سقوطك، الطريق طويلة جدا فلما تستسلم؟!

لا زال هناك سلم لتسلقه، استيقظ الآن لا داعي للحزن لا داعي للخوف.

قف صامدا، تحدى الموت، تحدى القدر، إن لم تواجه نقاط خوفك ستتحول لشبح وتتتبعك للأبد.

لا قدرة لنا على تغيير ماضينا لا قدرة لنا على نسيان ما مررنا به، بعض الجراح رغم، تضميدها تترك أثرا دوما لكني أثق بأنه لكل منا القدرة على تحدي قدره، على التغيير الإيجابي على النهوض بنفسه والتحليق بها.

لم أختر ما كتبته كقصة أو حكاية أعجبتني فكتبتها كي لا يجف حبر قلمي، أناملي لا تتوقف عن الكتابة حتى لو أبترت، بل سبب الإختيار خاص جدا، لم أكن لأجد نفسي لم أكن لأقدر على النهوض بنفسي وتغيير قدري وبداية صفحة جديدة لولا التخلي، أجل التخلي عن النظر للوراء دوما، عن الإرتباط بكل ما هو ماضي، أحسست بغرابة وأنا داخل منزلي لم تكن الغرف تسعني، لا أو من بعد بأن هذا هو المكان الذي أنتمي إليه، لكن الأهم من هذا هو أني جد سعيدة.

أنا سعيدة لأني استطعت كسر قيودي، سعيدة أن يداي لم تعد مربطتان أن داخلي تحرر من تلك القيود التي شدته في كل مرة.

أنا سعيدة أن الظلمة بداخلي زالت بشعلات الأمل التي كنت أحييها كل مرة أحس فيها أن انطفائي اقترب فأحييت نفسي واستبدلت ظلمتي نورا أبديا، نورا لا قدرة على اطفائه شيء عادي.

أنا سعيدة لأني استطعت فتح قفلي الداخلي لأتعرف على نفسي أكثر، على جوهري الداخلي، أخطائي، لأركز على نقاط قوتي وأمحو كل ما يسمى ضعفا، عفوا أنا لا أملك نقاطا كثيرة من ما يسمى نقاط الضعف تلك.

سعيدة أني تغلبت على الأبواب الموصدة تلك التي لطالما بكيت خلفها ولا قدرة لي على فتحها ولا جرأة لي في الخروج والإبتعاد عنها لأني استطعت أن أقفز من مرحلة لأخرى دون أي خوف.

سعيدة ومسرورة بتحرري بعد طول تواجدي في سجني الداخلي وسط زنزانة الماضي تهترأ خاليا دماغي من التفكير والتفكير، بعدما كنت مرتبطة بماضي، ماض جعل فترات حياتي فترة واحدة فترة تخلو من كل المشاعر.

دعى الخوف والتعاسة، فترة كنت فيها شخصا آخرا شخصا لا قدرة له على التغلب على الغرق رغم أنه لا زال يحارب لإنقاض أنفاسه، فترة لم أكن فيها شخصا قويا ولا شخصا مميزا ولا ما أنا عليه اليوم، لأني هرولت بنفسي لإنقاضها لأني لم أتركها هناك وحدها أبدا، لأني تحديتها ولأني هزمتها رغم أنها هي أنا، وأنا هي ولا ضمير بين الأنا، ولا هي يفرقنا.

أنا سعيدة لأني استطعت مد جناحاي والطيران عاليا، طرت بي بنفسي بتفكيري بطموحي بأحلامي وكل شيء، حلقت بعيدا وتركت ورائي كل حطام كنت أناشد من بينه نفسي لألا يقتلني.

أنا سعيدة لأني ومع مرور السنين أنقذت نفسي من أن أكون شخصا تهزمه الحيانة في معركة واحدة ليسقط أرضا بعد أول ركلة، لأني وعدت نفسي بحياة أجمل وطموح أفضل وأهداف أعلى وجسد أقوى وفكر أوعى، ولأني نفذت أكبر وعد قطعته لنفسي.

" "

أنا جد سعيدة، لأني وبكل بساطة أينعت وسط حطام منزلي.

مدان ـسميرة آية

أينعت من حطام منزلي

مدان سميرة آية
Medane samira aya

تابعوني على